

## صورة المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية (القرنين 17 و 18م)

بعيون الرحالة أبي سالم العياشي والحسين الورثيلاني

A picture of Algerian society during the Ottoman period (17th and 18th centuries AD) through the eyes of the traveler Abu Salem Al-Ayashi and Al-Hussein Al-Warthilani

بكري حمزة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، [hbekri76@gmail.com](mailto:hbekri76@gmail.com)

تاريخ قبول المقال: 25-11-2024

تاريخ إرسال المقال: 10-08-2024

### الملخص:

تعتبر كتب الرحلة من المصادر التاريخية الهامة، إذ تمثل مادة أساسية تزود الباحثين بمعلومات في مختلف الميادين، وعلى الرغم من اختلاف دوافع الرحلة، فإنها تصور بعض ملامح حضارة تلك الفترة، فمن خلال كتابات رحلتي أبي سالم العياشي والحسين الورثيلاني حاولنا تسليط الضوء على ما نقلوه لنا عن طريق المشاهدة والسماع ودقة الوصف للأحوال العامة للمجتمع الجزائري لمختلف المناطق. الكلمات المفتاحية: كتب الرحلة؛ المصادر التاريخية؛ الأحوال العامة؛ المجتمع الجزائري.

### Abstract:

Travel books are considered important historical sources, as they represent a basic material that provides researchers with information in various fields. Despite the different motives of the journey, they depict some features of the civilization of that period. Through the travel writings of Abu Salem Al-Ayashi and Al-Hussein Al-Warthilani, we tried to shed light on what they conveyed to us through observation, hearing, and accurate description of the general conditions of Algerian society in different regions.

**Keywords:** Travel books; Historical sources; General conditions; Algerian society.

**مقدمة:**

عرف القرن 10هـ/16م ركودا في حركة الرحلة لأسباب متعددة، إلا أنها انطلقت من جديد، فقد بلغت ذروتها في القرنين 11 و12هـ/ 17 و18م، حيث شهد القرن 11هـ/17م ظهور أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعياشي في رحلته الحجازية المشهورة بـ: "ماء الموائد" والمعروفة كذلك بـ"الرحلة العياشية"، ثم برزت الرحلة أكثر فأكثر في القرن 12هـ/18م، مع الرحالة الحسين الورثيلاني ورحلته: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، وهذا بالإضافة إلى رحلات أخرى.

وكانت وجهة الرحالة نحو المشرق لعدة غايات أبرزها أداء فريضة الحج أو طلب العلم أو الهجرة، وفي طريقهم ذهابا وإيابا قام هؤلاء الرحالة بتسجيل انطباعاتهم كل حسب مشربه وتكوينه، فمنهم من كانت كتاباته يطغى عليها الطابع الديني، ومنهم من اهتم بالجانب العلمي ورجاله، ومنهم من تطرق إلى المدن مع وصفهم للمسالك والممالك، وبذلك وصفوا المجتمع بكل دقة ويرجع هذا كون الرحالة كانوا شهود عيان للكثير من الأحداث أثناء تنقلهم.

وللتعرف أكثر على أوضاع المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة وبعيون الرحالتين طرحنا الإشكالية الرئيسة على النحو التالي:

هل بلغت كتابات الرحالة الموضوعية إلى حد ما في نقل صورة المجتمع الجزائري خلال الفترة الحديثة؟ وفيما تجلى ذلك؟

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين 17 و18م، فضلا عن التعرف على الرحالة ودورهم في نقل أحوال ذلك المجتمع خلال تلك الفترة.

اتبعنا المنهج التاريخي واستعنا بإجراءات التحليل والوصف من أجل تفسير الأحداث ومناقشتها علميا.

**المبحث الأول: ترجمة الرحالة**

من خلال هذا المبحث قمنا بترجمة للرحالة العياشي والورثيلاني صاحبا الرحلتين، فتطرقنا لمناقبهما ومسيرتهما العلمية كونهما كان لهما الدور الكبير في رسم صورة المجتمع الجزائري إلى حد بعيد.

**المطلب الأول: أبو سالم العياشي (ت 1090هـ/1679م)**

تناولنا في هذا المطلب مولد ونشأة أبو سالم العياشي ثم مسيرته العلمية ومساهمته في الحركة الفكرية ولقائه مع العلماء وتدريسه، وفي الأخير تاريخ وسبب وفاته وذكر البعض من مؤلفاته.

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي نسبة لآل عياش قبيلة من البربر من أحواز سـجـلمـاسـة<sup>1</sup>، أو كما يقال قبيلة آيت أعياش، ولد سنة 1037هـ/1628م، ولُقّب بعفيف الدين، وهو رحالة<sup>2</sup>. نشأ العياشي في أسرة علم، حيث تلقى تعليمه على يد أبيه محمد الذي يعتبر شيخ زاوية، وأخيه الأكبر، ثم انتقل إلى الزاوية الرئيسة بوادي درعة<sup>3</sup>.

ساهم العياشي في الحركة الفكرية التي عرفها عصره في العلوم والآداب، إذ سجلت رحلته المشهورة "ماء الموائد" العلاقات الفكرية والاجتماعية بين المغرب والمشرق، كما قام بالتدريس في المدينة المنورة وأجاز الكثير من العلماء.

كان للرحلة العياشية دورا بالغا وفرصة في التقاء أبي سالم العياشي بالعلماء والفقهاء والأدباء من كل الأقطار والمناطق، الأمر الذي جعله يؤثر ويتأثر، كما كان حريصا على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات والوقوف عند الرباطات، فانشغل بذكر أخبار المتصوفة والزهاد والعُباد وكراماتهم ومآثراتهم<sup>4</sup>. توفي العياشي عن سن لا يتجاوز 53 من عمره متأثرا بوباء الطاعون الذي اجتاح المغرب حوالي سنة 1090هـ/1679م.

خلف العياشي تراثا فكريا وعلميا وفيرا من أهمه: رحلته "ماء الموائد"، أو "الرحلة العياشية" المشهورة التي كانت الأثر التاريخي الذي خلد ذكره وأكسبه مكانة متميزة في تراث أدب الرحلة بالغرب الإسلامي<sup>5</sup>.

### المطلب الثاني: الحسين بن محمد الورثيلاني (ت 1193 هـ/1779 م)

تناولنا في هذا المطلب مولد ونشأة الحسين الورثيلاني ثم مسيرته العلمية مع ذكر أبرز شيوخه وتلاميذه وسنوات حجه وكيف أثر وتأثر في لقائه مع العلماء وتدريسه، وفي الأخير تاريخ ومكان وفاته وذكر البعض من مؤلفاته.

<sup>1</sup> أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 198.

<sup>2</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، مج1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 29.

<sup>3</sup> الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج 2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 133.

<sup>4</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، المصدر السابق، ص ص 24، 29.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 377.

## صورة المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية (القرنين 17 و 18م) بعيون الرحالة أبي سالم العياشي والحسين الورثيلاني

هو الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد بن الحسين الورثيلاني نسبة إلى بني ورتلان قبيلة قرب بجاية بالجزائر التي ولد بها سنة 1125 هـ/1713م<sup>1</sup>، وحسب الروايات المتداولة ينتسب الورثيلاني إلى أسرة علم وصلاح، تعود أصولها إلى شرفاء تافلات المغربية، استقرت ببجاية ثم انتقلت إلى مواطن قبيلة بني ورتلان بالقبائل الصغرى<sup>2</sup>

أخذ العلم عن والده وأشياخ موطنه، ثم رحل إلى المشرق<sup>3</sup>. تنقل إلى بعض الزوايا ومعاهد العلم بناحية القرقور ونواحي جرجرة ولس والجزائر، فارتبط بالطريقة الشاذلية، والتزم بحياة الزهد والتقشف والرغبة في الاستزادة من العلوم الفقهية اللغوية<sup>4</sup>.

من بين شيوخه والده وعلي بن أحمد بن عبد الله ويحيى اليعلاوي وأحمد زروق بن الشيخ العنابي. ومن تلامذته الشيخ محمد بن الفقيه ومحمد السكلاوي ويحيى بن حمزة ومحمد الجوادي ومحمد بن أخروف<sup>5</sup>.

حج الحسين الورثيلاني ثلاث مرات، كانت الأولى عام 1153 هـ/1740م مع والده، وعمره آنذاك 18 سنة والثانية في سن 41 من عمره عام 1166 هـ/1752م، أما الحجة الثالثة التي استغرقت ثلاث سنوات (1179-1181 هـ/1765-1767م)، وأتمها في الرابعة والخمسين من عمره<sup>6</sup>.

لقي الورثيلاني بعض الأئمة في الحرم المكي من بينهم الشيخ أحمد المخلي الشافعي وعبد الله بن سالم البصري الشافعي ومحمد تاج الدين مفتي الحنفية<sup>7</sup>، حرص على توسيع معارفه ومعلوماته أثناء الحج ووجوده بالحجاز ومصر، فدرس بالقاهرة وأخذ على شيوخ الأزهر أمثال محمد البليدي والحفناوي والجوهري وغيرهم من العلماء، وبعد عودته من المشرق فضل الاستقرار والاعتكاف للعبادة بمسجد أسرته حيث خاض في التدريس والوعظ<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1، تح محمد بن أبي شنب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008، ص 6.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 418.

<sup>3</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق،

ص 7.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 418.

<sup>5</sup> يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 45.

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 418.

<sup>7</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق،

ص 496.

<sup>8</sup> ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 418.

توفي الورثياني بمسقط رأسه "أنو"، ودفن في مقبرتها<sup>1</sup>. وحسب ما ذكره بعض تلاميذه، أنه توفي في شهر رمضان عام ثلاثة وتسعين من القرن الثاني عشر (1193هـ/1779م)، وبعضهم قال عام أربعة وتسعين، فقد عاش ثماني وستين أو تسعا وستين سنة<sup>2</sup>.

ألف الورثياني عدة كتب، معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد، وأكبر عمل ألفه في التاريخ والأخبار هو هذه الرحلة<sup>3</sup>، كما عرف عنه أنه كان إماما محققا بارعا في العلوم، وألف في التاريخ<sup>4</sup>.

### المبحث الثاني: الحالة السياسية والأمنية خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م

تغيرت نظرة السلطة الحاكمة اتجاه السكان ابتداء من القرن 12هـ/18م بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية نتيجة نقص الموارد البحرية، الأمر الذي دفعها إلى تغيير طبيعة العلاقة مع السكان، ففرضت على الأهالي ضرائب جديدة، مما أدى إلى ظهور ثورات داخلية في الريف، بينما ظلت العلاقة على طبيعتها مع العلماء والمرابطين بالمدن لأن هؤلاء يضمنون لهم العيش والتعويضات المالية<sup>5</sup>.

### المطلب الأول: رحلة العياشي

عند نزوله بالجنوب الجزائري حل العياشي بقرى تسابت رفقة ركبته<sup>6</sup>، ودخل بلاد أوكرت<sup>7</sup> التي تعتبر المحطة الأولى لرحلته، فتطرق لوضعها السياسي بصورة مقتضبة، وحسب شهادته كانت خاضعة لأمير سجلماسة<sup>8</sup>، وفي حديثه عن ورقلة فقد ظلت أغلب الفترات خاضعة لحكام إيالة الجزائر بشكل مباشر عن طريق توجيه حملات عسكرية، أو بشكل غير مباشر من خلال إظهار التبعية<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 45.

<sup>2</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 6.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 395.

<sup>4</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 496.

<sup>5</sup> منصور درقاوي، "الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوربية (العادات والتقاليد-أنموذج)"،

مجلة عصور، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، العدد: 34-35، ص. ص (27-66)، 2017، ص 38.

<sup>6</sup> الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 133

<sup>7</sup> مولاي بالحيمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 71.

<sup>8</sup> العياشي، أبي سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، (2006)، مج 1، المصدر السابق، ص 107

<sup>9</sup> ناصر الدين سعيدوني، وراثة جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 494

كما تطرق إلى الفتن التي انتشرت ببسكرة، حيث تدهورت أوضاعها وتفاقت فيها الصراعات بين مجموعة من الأهالي وأمير البلاد الذي اتهمهم بالتآمر ضده، فأمر بقتلهم جميعا، إذ قتل منهم نحو 200 رجل، مما أدى إلى نشوب الشحنة بينه وبين أخواله أولاد الشيخ أحمد بن جلاب الذين كانوا من قبل من شيعته وبهم تمكن من البلد غير أن مكانته سقطت فيما بعد بالرغم من حسن السيرة التي كان يعرف بها<sup>1</sup>.

كما تدهورت أوضاعها نتيجة عدم استقرار حكمها الذي تقلب بين الترك العثمانيين وعساكر الأعراب، فقام العثمانيون الترك ببناء حصن على رأس منبع الماء الذي يسقون منه فسيطروا بذلك على البلاد التي تعرضت لغارات عساكر الأعراب من الخارج، كما لحق الضرر بأهاليها بسبب ظلمهم وفرض الضرائب عليهم<sup>2</sup>، وكل ذلك يفسر التواجد العسكري للعثمانيين ببسكرة<sup>3</sup>.

فمن خلال رحلة العياشي يتضح جليا أن الأوضاع السائدة في المجتمع الجزائري الصحراوي خلال القرن 11هـ/17م من العهد العثماني، كانت تعرف اضطرابات وصراعات داخلية، يعود سببها لغياب سلطة نافذة في المنطقة؛ مما أثر سلبا على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافية، حتى الجانب العمراني لم يسلم منها.

### المطلب الثاني: رحلة الورثيلاني

عاشت الجزائر أوضاعا مزرية في مختلف الجوانب خلال القرن 18م نتيجة ممارسات الحكم التركي العثماني بها، وهذا ما أشار إليه الرحالة الورثيلاني في قوله: "...غير أنه خال من السلطان وأحكامه، فالوطن سائب...عمره الله على يد سلطان عدل"، ويشير إلى أنه من عادة الحكام الأتراك العثمانيين وجندهم الظلم والتعدي وأخذ الرشوة<sup>4</sup>، فساد فيها القتال والفتنة بين المسلمين نتيجة ضعف الحكام

<sup>1</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، المصدر السابق، ص 115.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص 381.

<sup>3</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 29.

<sup>4</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، دار هومة، الجزائر، 2016،

2016، ص 258.

(الورثيلاني السطيفي الجزائري الشيخ الحسين بن محمد، 2011: 45)<sup>1</sup> الذين انتقدتهم الورثيلاني لعدم توفير الأمن وسوء الأخلاق<sup>2</sup>.

وحسب الرحالة فقد ساد الظلم وانتشرت الفتن في زمرة<sup>3</sup>، فمنذ القرن 11هـ/17م بسطت السلطة العثمانية سياسة معتمدة على عامل القوة قصد مد النفوذ نحو المناطق الداخلية والخاضعة لحكم القبائل فقط<sup>4</sup>، ويرجع السبب في ذلك إلى فساد الحكام العثمانيين<sup>5</sup> الذين عاقبوا السكان وفرضوا عليهم الجباية بالقوة<sup>6</sup>. وعندما حل ببسكرة لاحظ نفس الأوضاع المزرية هناك، فأصبحت المدينة القديمة حطاما مما أدى إلى هجرة سكانها ونوا بضواحي البساتين واستولى عليها الترك وعساكر العرب بالتناوب وأقام الأتراك العثمانيون برجاً واحداً داخل المدينة والآخر خارجها<sup>7</sup>، ونفس الحال بالنسبة للنامشة يضيف الرحالة، حيث نهبت خيراتهم وانتشرت الرشوة وأستغل العلماء في شرعية أفعالهم.

وهكذا في غيرها من عمالة الجزائر<sup>8</sup> التي تعتبر الأصغر<sup>9</sup>، وانقسم الشرفاء بين الولاء والعصيان<sup>10</sup>. وفي خضم هذه الظروف والفتن عمل الورثيلاني على سياسة الإصلاح بين القبائل في بني ورثيلان وغيرها وردهم إلى طريق الدين بعدما كان حكم السلطان غير نافذ فيهم لصعوبة طبيعة البلاد، فانفلت

<sup>1</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلية، تح محفوظ بوكراع وعمار بسطة، ج 1، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص 45.

<sup>2</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص 248.

<sup>3</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 81.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليها ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 142.

<sup>5</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 114.

<sup>6</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص 259.

<sup>7</sup> Hadj Sadok(M), (1951), « à travers la berberie orientale au 18<sup>ème</sup> siècle avec le voyageur AL- WARTHILANI », Revue africaine, volume 95., p 328.

<sup>8</sup> أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليها جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 148.

<sup>9</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلية، ج 1، المصدر السابق، ص 241.

<sup>10</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص 256.

الأمر من يد السلطان ، فخربت الكثير من القرى ولم يعتنوا بالأحكام الشرعية<sup>1</sup>، ثم أشار الورثيلاني إلى مدينة قسنطينة التي كانت خاضعة لحكم الباي فذكر مكانتها في البلاد بحيث تمثل مصدرا كبيرا لدعم الجزائر بالأموال وقال بأن بها قسبة عظيمة وعساكر كثيرة من الأتراك العثمانيين وحصون وأبراج وأسوار وثغور<sup>2</sup>، وتفشى فيها الظلم والفساد<sup>3</sup>، حيث انشغل حاكم قسنطينة وولاته وعساكره من الأتراك العثمانيين بصرف أموال الخزينة لأغراضهم ومصالحهم الخاصة ومن أجل تعزيز سلطتهم<sup>4</sup>.

### المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية خلال القرنين 11 و 12هـ/ 17 و 18م

كثير من المظاهر الاقتصادية قد لفتت انتباه أنظار الرحالة وأثارت فيهم أحاسيس الإعجاب والاستحسان، حيث تحدثوا عن أنواع المزروعات المنتجة وتعيين مواضع الأسواق والإشارة إلى بعض الصناعات التي اختص بها بعض الأهالي<sup>5</sup>، كما توقفوا عند الكثير من نقاط المياه والأنواع المختلفة من الأنعام وإنتاجها الوفير.

### المطلب الأول: رحلة العياشي

تحدث إثر مروره ببعض المناطق واصفا لنا ذلك الواقع الاقتصادي في بعض الأماكن التي شاهدها، فيذكر مثلا قرى بني عباس ووفرتها على النخل الكثير والفاكهة والبساتين والمجاري من المياه العذبة<sup>6</sup>، كما شهدت قرى تسابت حركة وتبادل تجاري نشيط، وقد أشار الرحالة بأن صرف الذهب رخيص بمنطقة توات التي تعد مجمعا للقوافل التجارية من مختلف الجهات وتنوعت فيها البضائع والسلع، ويقدم الركب إلى أسواقها تزداد حركة ونشاطا<sup>7</sup>، وبذلك تعتبر هذه المنطقة نقطة أساسية تعبرها القوافل التجارية والدينية

<sup>1</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 111.

<sup>2</sup> نفسه، ص 687.

<sup>3</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص 258.

<sup>4</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 99.

<sup>5</sup> نفسه، ص 96.

<sup>6</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 76.

<sup>7</sup> نفسه، ص ص 79، 80.

لما تميزت به من أسواق ورخص للسلع حتى أصبحت تجذب أيضا جميع القوافل المارة داخل إقليمها<sup>1</sup>، وعند توجهه نحو واركلا أشار إلى تناقص نقاط المياه وكثرة النخيل والزرع والإبل والغنم والسمن واللحم<sup>2</sup>، وأما بوادي سوف فهناك وفرة من المياه العذبة ليست بعميقة ونخيل وأنواع من الخضر، بالإضافة إلى ممارسة أهلها هواية الصيد التي تعتبر مصدر معيشتهم إلى جانب التمر وأجود الثمار، وتُخزن منتجاتهم في زرائب من جريد النخل<sup>3</sup>.

ثم نزل خارج بسكرة بسبب الوباء، لكن الحاجة دفعت الناس دخولها لشراء الزاد، وجمعت البلاد بين التل والصحراء، لذلك وجد فيها تنوع في الثروات كالنخيل والزرع والزيتون والكتان والمياه ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، مما جعلها أحسن مكان للعيش، لولا إححاف عساكر الأعراب وحكام الترك عليها<sup>4</sup>، إلا أن الركب وجد غلاء في الأغواط ويملك أهلها سمنا كثيرا، أما الإبل فهو قليل هناك، بينما في قرية الماية لم يجد الرحالة حتى ما يباع إلا الملح مقابل الطعام بالمقايضة، وفي بوسمغون وجد السلع أرخص بكثير من البلاد التي مر عليها الركب<sup>5</sup>، ويذكر بأن وادي جبر من الأماكن الغنية بالمياه حيث تعد نقطة سيول، فكل مكان ينتهي بسد وساقية من الماء الجاري العذب بقرى بني عباس<sup>6</sup>.

ولما نزل العياشي بين قرية والن والقلعة وجد بها آبار كثيرة طيبة الماء، لكن قليلة النخل<sup>7</sup>، وبأولاد جلال ماء غزير عذب وأودية ومياه كثيرة بمنطقة الأشبور والغاسول والكراكدة ووادي الناموس، لكن ما لاحظته الرحالة أن وادي بوكايس نضبت به المياه بعدما كانت وفيرة، عكس وادي زلمو ووادي بوعنان اللذين يجريان بالماء العذب<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> رشيد حفيان، "الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12 هـ/17-18 م"، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في (التاريخ)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، (2014/2013)، ص 28.

<sup>2</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص ص 112-114.

<sup>3</sup> نفسه، ص 123.

<sup>4</sup> مولاي بالحيمسي، (الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 101).

<sup>5</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص ص 546-548.

<sup>6</sup> ج.أو هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د ت)، ص 76.

<sup>7</sup> مولاي بالحيمسي، (الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 79).

<sup>8</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص ص 545-551.

## المطلب الثاني: رحلة الورثيلاني

لاحظ الورثيلاني أثناء وجوده بقسنطينة أسواقا كثيرة ودكاكين واسعة واللحوم الوفير والسمن والقمح والتين، فتأنتيها القوافل من كل النواحي، إلا أن أشجار الفواكة قليلة على الرغم من عذوبة ووفرة الماء<sup>1</sup>، وأما بقرية الجمعة فوجد بساتين والعديد من العيون، نحو مائة<sup>2</sup>، وشاهد بجاية فواكه كثيرة منها الزيتون والعنب والتين، وبقرية وادي يسمى وادي آقبو<sup>3</sup>، وأما بزمورة فتتوفر على مياه وعيون كثيرة وأرضها ذات زرع وزيتون وضرع وسوقها عامر مفيد، إلا إنها قليلة الأشجار<sup>4</sup>، وبالنسبة لمنطقة قصر الطير فتبدو حسب الرحالة بادية قاحلة الأراضي، لكن عشبها أخضر صيفا وخريفا، وبالمرجة ماء عذب وزرع وضرع كثير.

كما لاحظ نفس الثروات بمنطقة الولجة، حيث يمتلك أولاد دراج الكثير من الجمال<sup>5</sup>، ويصف بسكرة بأنها تتميز بكثرة النخيل ووفرة المياه وأشجار مثمرة خاصة الزيتون<sup>6</sup> الذي يُطحن بطاحونات مائية، بالإضافة إلى مادة الكتان ذات النوعية الجيدة ومزارع الحناء، إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول واللحوم والسمن التي عجت أسواقها بالجملة<sup>7</sup>.

كما تميزت أيضا بلدة زمورة بنشاط سوقها ووفرة في المياه والمزارع والقمح<sup>8</sup> والسمن واللحم، كذلك اشتهرت هذه البلدة بصناعة الثياب الرفيعة والأنيقة من مادة الصوف، والكتان<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 423.

<sup>2</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 15.

<sup>3</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 81.

<sup>5</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 6.

<sup>6</sup> Hadj Sadok(M), « à travers la berberie orientale au 18<sup>ème</sup> siècle avec le voyageur AL-WARTHILANI », op cit., p 328

<sup>7</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 88.

<sup>8</sup> Hadj Sadok(M), « à travers la berberie orientale au 18<sup>ème</sup> siècle avec le voyageur AL-WARTHILANI », op cit., p 328

<sup>9</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، ج 1، المصدر السابق، ص ص 375، 376.

**المبحث الرابع: الأوضاع الاجتماعية والصحية خلال القرنين 11 و 12هـ/17 و 18م**

لم يكن الواقع الاجتماعي أحسن وضعاً من الواقع السياسي خلال تلك الفترة، وهذا أمر طبيعي؛ فالتداخل بين مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها أمر واقع لا خلاف فيه، ذلك أن الحياة السياسية لا بد أن تلقي بظلالها على جميع مظاهر الحياة، فهي المحور الذي تدور حوله جميع هذه المظاهر خاصة الحياة الاجتماعية التي سنحاول من خلال ما دونه بعض الرحالة المغاربة حولها أن نوضح صورة المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية وأن هذه الحياة الاجتماعية تبقى حياة مضطربة وغير مستقرة، باعتبارها تجمع متناقضات.

**المطلب الأول: رحلة العياشي**

تطرق العياشي إلى البعض من عادات أهل بلدة بوسمغون التي مر بها فيقول بأنهم يتجهون جميعاً إلى صلاة العيد بأسلحتهم لاتخاذ الحجارة هدفاً لهم حتى أثناء الخطبة والصلاة، وهو الأمر الغريب فيهم الذي لفت انتباهه<sup>1</sup>، ويقول بأن طلاق المرأة عند أهل منطقة توات يستدعي شهوداً ليشهدوا على عدم طلاقها إلا لتأديبها، فيقول أحد سكان المنطقة في ذلك: "اشهدوا أنني ما طلقت امرأتي إلا كي أكسر من صورتها وشدتها، فمتى أرادت التزوج استظهر بذلك الرسم"، فلا تتزوج إلا بعد الرجوع إليه، ويعتبر ذلك حكماً بينهم<sup>2</sup>، عكس ما كان متعارفاً عليه، أي دون اللجوء إلى القضاء كما كان شائعاً في المدن مثل الجزائر، أين كان القضاء يؤدي دوراً بارزاً في عمليات الطلاق<sup>3</sup>.

ومن أساليب صد الأعداء فكانوا يمنعونهم من منابع المياه بردمها<sup>4</sup>، فوجدت جل مناهل الماء قد دفنها أولاد محمد عرب توات مخافة من عدوهم من قبيلة سعيد أن يغيروا عليهم<sup>5</sup>، أيضاً ورد أن أهل بلدة مكوسا القريبة من واركلا يمنعون الحجاج من الدخول إليها حماية لأنفسهم ومخافة على أمنهم<sup>6</sup>، وشاع بين أهل بسكرة أن عرب أولاد نصر بن بوعكاز يغيرون على إبل الركب فتُمنع من السرح، وهو ما

<sup>1</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 549.

<sup>2</sup> نفسه، ص 84

<sup>3</sup> خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 217.

<sup>4</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 107.

<sup>5</sup> عاشور سرقمة، "الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجاً"،

الرحلة المغربية قضايا وظواهر، ط1، دار الضحى، الجلفة، الجزائر، 2017، ص 296

<sup>6</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 119.

يحدث مشقة نتيجة حبسها مما يصعب الدخول للمدينة<sup>1</sup>، فتفاقت الأوضاع كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج، فقد شاعت هذه الظاهرة بكثرة خاصة في المناطق الصحراوية<sup>2</sup>، ويذكر العياشي بأن الأعراب المتواجدون بين بلدة الدويسة وأولاد جلال، بما فيهم النساء والصبيان يدفعهم الجوع للسطو على ركب الحجاج على حافتي طريقه، فيغتنمون منه قوتهم، مما يرغب الركب للرجوع إلى وادي ريغ لاستفحال الخطر في المناطق المحاذية لها إلا في الليل.

وشاهد عند وصوله الأغواط تقشي الوباء بها<sup>3</sup>، مما جعل أهلها يتخذون إجراءات خوفا من انتشاره أكثر في المدينة، كمنعهم من دخول الناس إليها، ووصلوا حتى أنهم لم يفتحوا أبواب منازلهم عند البيع والشراء، بل كانوا يدلون الزرع مثلا من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه، تلك الظروف أدت إلى ارتفاع الأسعار في المدينة<sup>4</sup>.

وفي حديثه عن أحواز الكراكة، يذكر بأن بعض الطوائف، ومن بينها عرب مولاي محمد والعمور أشتهرت بالغارات والسرقة<sup>5</sup>، وأن قبائل من زربية حامد، من بينها عرب نميلة وأولاد سيدي المبارك<sup>6</sup> بن ناجي اشتهرت بوجود أعلام يُتبرك بهم، واختص آخرون بالكرم وحسن الضيافة، وذلك ما ورثوه عن جدهم حسب قولهم<sup>7</sup>، وسألوا العياشي عن بعض القضايا في أمور دينهم كمسألة الفرار والخروج من بلادهم مخافة الإصابة بوباء الطاعون الذي كان منتشرًا آنذاك<sup>8</sup>، كما لاحظ أن أهل بلدة أكرك لا يقتلون كرما عن سابقتهم، ففيها أمير يحسن ضيافة الحجاج، وعندما حل ببلدة تكرت قاعدة وادي ريغ، ومسكن

<sup>1</sup> نفسه، ص 539

<sup>2</sup> رشيد حفيان، "الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12 هـ/17-18 م"، المرجع السابق، ص 48.

<sup>3</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 544-546.

<sup>4</sup> محمد مزين، "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنين 16 و 17 م"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد: 09، 1995، ص 281.

<sup>5</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 548.

<sup>6</sup> خليفة بن عمارة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى عين الصفراء، المشرية، البيض، النعامة، من الأصول إلى غاية حرب التحرير، تر بوداود عمير، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013، ص 145.

<sup>7</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 537-538.

<sup>8</sup> عاشور سرقمة، "الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجاً"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 298.

أمرائها أولاد جلاب، وجدها تحت حكم أمراء توارثوا صفة العدل بين السكان والشورى وتقديرهم لعلمائهم<sup>1</sup> ويضيف بأن أولاد صولة قوم من الأشراف عرفوا بنسبهم بين أهل البلد<sup>2</sup>، وعندما وصل الركب قرية أولاد جلال التي تعتبر من أكبر قرى الزاب، شاهد الرحالة جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين، وهم يسمون الغرباء مهاجرين، ولديهم مدرسة خاصة، ولا تؤدي لهم أتاوة<sup>3</sup>، وأما منطقة العوينة وأولاد سيدي مخلوف الأشراف بها فقراء<sup>4</sup>، فقد بلغ الجهد منهم كل مبلغ إذ ذبحوا الفرس التي أعطاهم لهم العياشي ليأكلوها<sup>5</sup>. وفيما يتعلق بالجانب الصحي، فإن بلد سيدي عقبة وبسكرة انتشر فيهما الوباء الذي أهلك الكثير من سكانها حسب ما ذكره العياشي، مما أعاق دخول الركب إلى مسجد سيدي عقبة، فبقى خارج بسكرة<sup>6</sup>، وأصاب الطاعون معظم سكان تلك البلدان<sup>7</sup>، وسيطر الجوع على أهل قرية الماية، فغاب عنهم ما يقتاتون يقتاتون به لدرجة أنهم أكلوا لحوم إبل الركب التي ماتت<sup>8</sup>.

### المطلب الثاني: رحلة الورثيلاني

ذكر أنه حينما عزم رفقة ركبته من العلماء والفضلاء لأداء فريضة الحج ذاع الخبر<sup>9</sup> الذي من عادتهم بث خبره قبل شهور من بدء موسم الحج وهذا بعد حصول أمير ركب الحج الجزائري على موافقة السلطة<sup>10</sup>، فقرر بقية الناس من كل حاضرة وبادية ضرورة مرافقتهم رغبة في زيارة بيت الله الحرام<sup>11</sup>، فأقبل عدد كبير منهم على الرحالة من جبل زاووة نحو 300 رجل، واشتغلوا بهم، إلى أن ذهبوا إلى

<sup>1</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 119، 120-122.

<sup>2</sup> نفسه، ص 539

<sup>3</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 106.

<sup>4</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 545، 546.

<sup>5</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 107.

<sup>6</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 539، 540.

<sup>7</sup> عاشور سرقمة، "الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجاً"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 298.

<sup>8</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 547.

<sup>9</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 7.

<sup>10</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 86.

<sup>11</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 7.

قسنطينة ثم إلى تونس بعدما ودع أهل بجاية وسكان حمزة ووانوغة ووادي بجاية وغيرها<sup>1</sup>، وأشار الرحالة إلى كرم أهل وعلماء قسنطينة منهم الفقيه الحسن نجل الشيخ أحمد زروق بن مصباح<sup>2</sup>، وعن أهل زمورة لم يخفوا جودهم فأصروا على مبيتهم، وذكر من بينهم عرش بني فرقان وأولاد عبد الواحد وأولاد أبي الهوشات وعلمائهم وفضلائهم وصلحائهم المضيفين، كالقرومي والعلامة محمد السعيد بن قري وإمام الجمعة محمد الصغير<sup>3</sup>، وبعد العودة انتظر الركب سكان موطنه ووطن بني يعلى، ففرح بقدمه العام والخاص<sup>4</sup>، وإثر زيارته لضريح الولي الصالح سيدي محمد بن يحيى، اجتمع من وطن بني يعلى وبني ورثيلان جمع كثير ذبحوا واستضافوهم ضيافة كبيرة، وأضاف بأن مناطق كل من أهل إيلماين وزمورة ومن بني أحمد وبنو عشاش نساؤها ورجالها، تشهد نفس الحفاوة في الاستقبال، وضرب البارود والفرحة بالضيوف والتردد عليهم بأعداد كبيرة، حتى عاد الركب إلى وطنه ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181هـ/1767م<sup>5</sup>، وبهذا تميزت المناطق التي وردت في رحلة الورثياني بكثرتها وجودها وكرمها وتقدير وتقدير علمائها إلا أن هناك نقش في القتال والخصام بين أفراد المجتمع بسبب غياب السلطة النافذة<sup>6</sup> وابتعاد العامة عن الدين الإسلامي ورفض تطبيق أحكامه وعصيان أولي الأمر من الحكماء والصلحاء<sup>7</sup>، مما أرغم أهل الصلاح من سكان بجاية على إصلاح ذات البين حتى تعود العمارة إلى حالتها السابقة بعدما خربت، وكان لسلطان مجانة دورا في ذلك<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 28

<sup>2</sup> نفسه، ص 703

<sup>3</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثياني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، ج 1، المصدر السابق، ص 374.

<sup>4</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 702.

<sup>5</sup> نفسه، ص 704.

<sup>6</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثياني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، ج 1، المصدر السابق، ص 45.

<sup>7</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 72.

<sup>8</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص ص 7، 8.

أما في قسنطينة، فلاحظ كثرة السب والقبح واللعنة في أسواقها، لذا كثر فيها الظلم<sup>1</sup>، ونفس الرذائل والمنكرات انتشرت بين أهل زمورة، فطغت نار الفتنة والمعاصي وانعدم الحكم فيها، وابتعدوا عن الله<sup>2</sup> فأذاقهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون تعصبا وأنفة، فجار عليهم حكامهم، ومن أوصافهم كذلك البدع الشنيعة والأحوال الخسيسة والرذائل المخالفة للشرعية، فلم يتصفوا بالحق، فغلب عليهم الباطل ولم يتب منهم إلا القليل، فترى جليسه الفساق من الرجال ومن يخدع من النسوان، غير أن أولاد موسى بن يحيى ولو عن الظلم وامتثلوا للنصيحة، فأفاض الله عليهم بكثرة الأموال<sup>3</sup>.

ووجد الرحالة في أرض الحضنة عربا متفرقين وقال أنهم أولاد دراج وينحدرون من قبيلة ربيعة<sup>4</sup>، فوصفهم فوصفهم بالجهل والجفاء والتعدي وهم فرق، وقد تحصل الفتنة بينهم فيموت الثلاثون والأربعون في اليوم الواحد<sup>5</sup>، كما ساد بينهم كل أعمال الرذيلة من سرقة وبغض ونميمة وتعد وغيرها لابتعادهم عن الطريق السوي<sup>6</sup>، لكن فيهم أهل الخير من العامة والخاصة، فبينهم أفاضل وصلحاء من أولاد العريب وأولاد الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم وغيرهم<sup>7</sup>.

واشتهرت قسنطينة بصلاحها، أمثال الحاج بن قانة صاحب الفضل والمكانة المرموقة إذ يستتصر الضعيف ويصلح أحوال المجتمع رغم تعاقب الحكام واختلاف ممارساتهم، لكن عند عرب النمامشة نقشت ظاهرة السرقة والتمرد فعاشوا هاربين في الصحراء<sup>8</sup>، ومن العادات السلبية في منطقة زمورة أن نساءها باديات مكشوفات<sup>9</sup>، وكانت ظاهرة الاختلاط موجودة في الأوطان الجزائرية رغم أن هذه البيئة محافظة،

<sup>1</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثياني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، ج 1، المصدر السابق، ص ص 358، 359.

<sup>2</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 81.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 700-702.

<sup>4</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 72.

<sup>5</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 84.

<sup>6</sup> نفسه، ص 86.

<sup>7</sup> نفسه، ص 84.

<sup>8</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 107.

<sup>9</sup> نفسه، ص 81.

ودعا الرحالة إلى محاربة هذه الظاهرة وحث الناس على ترك السماع والغناء الذي يفتح بابا للمعاصي فحذر الرجال من ترك زوجاتهم وبناتهم وأبناءهم يحضرون التجمعات الصوفية الذي شوهه ذوو السوء<sup>1</sup>. وبعد عودة الورثياني من الحجاز في سنة الستين أشار إلى استفحال الوباء ببسكرة الذي هتك بكثير من سكانها، نحو سبعين ألف نفس<sup>2</sup>، وقد حل في قسم منها الخراب وقتل من أهلها عدد كبير، فلم يبق منهم إلا القليل الذين سكنوا خارج المدينة ابتعادا عن ظلم الأتراك العثمانيين<sup>3</sup>، وكان الطاعون أخطر هذه الأمراض خلال العهد العثماني بحيث أثر كثيرا على الوضع الصحي للسكان<sup>4</sup>، واندثرت أسواقها وحماماتها وطمست معالمها إثر الوباء، بالإضافة إلى جور الحكام الترك وظلم الأعراب فيها<sup>5</sup>.

### المبحث الخامس: الحركة الثقافية والعلمية خلال القرنين 11 و 12هـ/ 17 و 18م

تحدثت العديد من المصادر المحلية منها والأجنبية عن وجود حركة علمية واسعة بالجزائر خلال العهد العثماني، وهذا ما عكسه انتشار جلي للتعليم الذي مس كل من المدينة والقرية والمناطق الجبلية وحتى الصحراء<sup>6</sup> إذ لا تخلو تلك المناطق من كثرة المدارس الابتدائية وانتشار التعليم بها وبالتالي ندرة الأمية بين السكان الأمر الذي أبهر جميع الذين زاروا الجزائر خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى وجود المساجد والزوايا والرباطات، ولعبت الأوقاف والصدقات دورا هاما في نشر التعليم وانتشار المؤسسات كالمدارس<sup>7</sup>.

كما لعبت المساجد والزوايا دورا كبيرا في الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي وتنشيط الحياة الثقافية، وانتشرت علوم اللغة وعلوم الدين، فقد تحدثت كتب الرحالة الأجانب عن انتشار التعليم وأن كل

<sup>1</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 77.

<sup>2</sup> الحسين بن محمد الورثياني، الرحلة الورثيانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 89.

<sup>3</sup> سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، المرجع السابق، ص 72.

<sup>4</sup> سمير مشوشة، "ابن حمادوش الجزائري وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، المجلد: العدد: 12، الجزائر، 2015، ص 299.

<sup>5</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثياني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، ج 1، المصدر السابق، ص 241.

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 108.

<sup>7</sup> نفسه، ص 274.

جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة، وكان التعليم حرا من سيطرة الدولة والحكام العثمانيين، وكانت المدارس على مختلف مستوياتها تُموّلها الأوقاف التي كانت تدعم وتحمي كذلك الطلبة والمعلمين<sup>1</sup>.

### المطلب الأول: رحلة العياشي

من خلال مشاهداته وصف بعض المزارات المتمثلة في جملة من الزوايا منها زاوية سيدي أحمد بن موسى التي يوجد فيها قبره<sup>2</sup>، كما نقل إلينا بعض المعتقدات التي لاحظها في بعض المناطق، إذ يعتقد أهل قرية والا أن أول من بنى تلك القرية وأحياها رجل من الصالحين اسمه سيدي محمد بن موسى المدفون فيها، إذ يحترم العرب النازل بها ويتأثر من تعدى عليه منهم بذلك ويأتون ببعض صدقاتهم إليه، ويوجد في روضته سفرا من نوازل البرزلي<sup>3</sup> بخط الإمام ابن مرزوق، ومعه إجازات لبعض السادات القادرية بخط مشرق<sup>4</sup>.

وفي أول قرية من قرى تسابت التابعة لعمالة توات شوهد ضريح للولي الصالح عريان الراس تلميذ الولي الصالح المشهو أبي الرواين، دفن مكناسة بالمغرب، وحسب شهادة العياشي ساد تلك القرية الجهل والأمية وانعدم بها الأولياء والصالح<sup>5</sup>.

وأما بقرية القليعة كان ينزل الحاج أبو حفص بن الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، المعروف بسيدي الشيخ، وحتى الآن يدعون أولاده بأولاد سيدي الشيخ، وله حرمة في هذه النواحي خصوصا ولده أبو حفص المشهور بأعمال الخير وكثير التردد على الحرمين الشريفين، إلى أن توفي في سنة 1071هـ/1660م، ودفن عند والده بمقبرتهم المعروفة بالأبيض<sup>6</sup> قرب بوسمغون، وتؤثر عنه كرامات وله أتباع وكان يسير غالبا للحجاز بعائلته ويتبرك به الناس حتى الأمراء وله مصلى ذكره

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 159، 160.

<sup>2</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 78.

<sup>3</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 75.

<sup>4</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص ص 107،

108.

<sup>5</sup> نفسه، ص 79.

<sup>6</sup> خليفة بن عمارة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى عين الصفراء، المشربة، البيض، النعامة، من الأصول إلى غاية

حرب التحرير، المرجع السابق، ص 153.

رجل صالح لركب العياشي الذي صلى به<sup>1</sup>، وبقرية سيدي عقبة يوجد القبر المسمى باسمه، وهو مزار لكافة الرحالة المغاربة، أما في بسكرة زار العياشي قبر الشيخ الصالح سيدي بوطيب نصير وبعض الصالحين الأحياء منهم محمد بن بوعلي وهو من شيوخ البلدة وأكابرها<sup>2</sup> وزاوية ومسجد الشيخ عبد الرحمان الأخضر<sup>3</sup>، الإمام المشهور بالكرامات، وله مقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد، وبيتهم بيت علم وصلاح، ومن المزارات الشهيرة في تلك البلاد<sup>4</sup> القبر المنسوب لنبي الله خالد بن سنان حسب ما يعتقد أهلها<sup>5</sup>، ومدحه الرحالة العياشي بأبيات لما مرّ بهذا المشهد<sup>6</sup>، وموضع آخر فيه مزار تزار يقال أنه مات فيه الشيخ عبد القادر بن أبي سماعة<sup>7</sup>.

كما لاحظ الرحالة أن المسجد ببسكرة لا يعمره إلا القليل، فلا ترى به مدرسا ولا قارئاً، مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، لكنها تميزت بالأولياء الصالحين والوعاظ وطلاب العلم، ومنهم بو طيب نصير ومحمد الصالح وعبد الواحد الرماني أحد فقهاء البلد الذي قرأ على العياشي صحيح البخاري واصطحبه لزيارة أبي الفضل ومحمد بن بوعلي<sup>8</sup>، وفي مدينة واركلا جامع المالكية الذي يعكس من خلال خطبة الإمام المستوى العلمي والمعرفي الضعيف، وهذا حسب ما ذكره العياشي في رحلته عند حضوره لصلاة الجمعة<sup>9</sup>، وبعدما سئل الإمام من طرف أحد أصحابه عن المهدي المدعو له في الخطبة فقال أظنه النبي صلى الله عليه وسلم<sup>10</sup>، ووجد بالمدينة خزانة للكتب تحتوي على أربعين سفرا من ضمنها التوضيح وحواشي على الصغرى، وحسب ما أورده العياشي فإن أهل البلد يهتمون بالمسائل الفقهية<sup>11</sup>،

<sup>1</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 111، 112.

<sup>2</sup> صالح بوسليم وعمر بن قايد، "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد: 21، ص. ص (267-278) الجزائر، 2015، ص 270.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 500-503.

<sup>4</sup> نفسه، ص 542

<sup>5</sup> نفسه، ص 548

<sup>6</sup> صالح بوسليم وعمر بن قايد، "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، المرجع السابق، السابق، ص 270.

<sup>7</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 548.

<sup>8</sup> نفسه، ص 540.

<sup>9</sup> نفسه، ص 114.

<sup>10</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 84

<sup>11</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 117.

فنقل الرحالة أن محمد بن عبد الكريم التواتي ابن عالم توات في زمانه عبد الكريم قاضي توات، وبلده بتمنطيط قد استقر هناك بعدما تفقه في ورقلة مدة من الزمن، وكان متمكنا في الفقه والنحو وعلم العروض واشتهر بعدة تأليف منها "نوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" وشرح منظومة أبي الفرج الاشيلي في ألقاب الحديث، كما سجل أن أهل البلد اهتموا بأمور دينهم بالإضافة إلى تذوقهم للشعر<sup>1</sup>. وأما بزربية حامد فالتقى العياشي بأهل العلم والفقه أمثال عبد الله بن محمد بن المبارك وإخوانه وبني عمه، فيقول أنهم أهل خير وبركة ولهم رغبة في التعلم، ولكن ما لاحظته العياشي في بلاد الخنقة أن القلة من أهلها يهتمون بالتحصيل العلمي<sup>2</sup>، بل يهتمون بأمور الدين أكثر حيث طرحت على العياشي وعلى من من رافقه أسئلة عديدة ومتنوعة حول قضايا نوازل، منها سؤال في نازلة من الأحباس والآخر في البيوع<sup>3</sup> ومنها ما جاء على شكل ألغاز كألغاز الحريري<sup>4</sup>.

كما سألوا عن قتال أهل واركلا هل يحل لهم أم لا؟ إذ تحجبوا بذلك بأنه يجب تغيير المنكر<sup>5</sup> معتقدين في ذلك أن أموالهم ودماءهم حلال وأنهم كفار بسبب ما فعلوه<sup>6</sup>، وسأل بعضهم هل يجوز الفرار من الوباء الوباء قبل وصوله إليهم في البلد، أو لا يجوز بسبب تخوفهم من أن يدهمهم؟<sup>7</sup> ولاحظ أيضا من خلال مخالطته للناس أن ظاهرة الخرافات قد تفشيت وطغت وتمثلت في الكثير من المعتقدات، كما انتشرت ظاهرة الزهد والكرامات وزيارة العلماء والتبرك بهم، بالإضافة إلى وجود مجالس للمذاكرة وإلقاء دروس فقهية من لدن علماء وفقهاء واهتمام أهل مدينة بسكرة حيث يترددون على تلك المجالس التي يطغى عليها التصوف الذي أعار له العياشي اهتماما بالغا، أما في ورقلة فلا مجال للحركة العلمية حسب شهادة الرحالة وحتى المؤلفات لا توجد بكثرة، وإن وجدت فهي عند أمير البلدة، كما انعدمت الكتابات وأماكن حفظ وتلاوة القرآن الكريم.

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 120-122

<sup>2</sup> نفسه، ص 538

<sup>3</sup> نفسه، ص 82

<sup>4</sup> نفسه، ص 120

<sup>5</sup> نفسه، ص 122.

<sup>6</sup> مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 89.

<sup>7</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 538.

## المطلب الثاني: رحلة الورثيلاني

تحدث الورثيلاني في رحلته عن أهل الفضل والعلم الذين لقيهم، وزار كل من الشيخ عبد الرحمن الأخضر في قريته وخالد والشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة<sup>1</sup>، وفي بجاية عائلة أولاد الشيخ بهلول أهل القرآن والعلم<sup>2</sup>، وبها طلبة علم أوصاهم شيخهم الورثيلاني بالعلم والمودة بينهم والطاعة لله تعالى<sup>3</sup>، فكان كثير التردد على بجاية خاصة في شهر رمضان، وذلك من أجل الرباط والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد<sup>4</sup>.

وعن جبل زواوة، يقول عنه بأنه متميز واشتهر بأوليائه أصحاب المناقب والآثار<sup>5</sup>، وتعد منطقة الولجة الواقعة بأرض الحضنة لأولاد دراج أي أولاد ناصر، عند أولاد الشيخ الولي الصالح رحاب محل العلم والحلم والفضل والأدب والشرف<sup>6</sup>.

وأما أهل الزاب فمنهم المرابطين كإمام مسجد الشيخ وأولاده وبعضا من الطلبة<sup>7</sup>، وفي بسكرة نجد الفقيه الفاضل محمد بن الجودي ومحمد الشريف والقاضي والمفتي وكذا بعض شهود العدالة والطالب الفاضل مصطفى وبركات وغيرهم من العامة والخاصة وقبر الشيخ عبد الرحمن الأخضر والشيخ خالد الذي قيل أنه نبي مرسل إلى جبل أوراس كما قيل أنه ولي، وما يعاب على بسكرة أن مسجدتها قل عامروه وساكنوه، فلا ترى فيهم مدرسا ولا فقيها ولا قارئاً<sup>8</sup>، ويخلو الجامع الأكبر من طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم رغم أن المدينة حاضرة علم<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق،

ص 6.

<sup>2</sup> نفسه، ص 13.

<sup>3</sup> نفسه، ص 28.

<sup>4</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص 100.

<sup>5</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق،

ص 34.

<sup>6</sup> نفسه، ص 84.

<sup>7</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة

الورثيلانية، المصدر السابق، ص 198.

<sup>8</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 86-88.

<sup>9</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، المصدر السابق، ص 109.

والسبب في ذلك سياسة الأتراك العثمانيون الظالمة<sup>1</sup>، كما يوجد فيها مقابر عديدة ويعرف أهلها بالفضل ومحاسن الأخلاق<sup>2</sup>، وأما قرية الخنقة ففيها اهتمام كبير بالعلم كالنحو والفقه والحديث وغيرها<sup>3</sup>. ولما خاض في الحديث عن مدينة قسنطينة لاحظ قلة مدارسها بسبب ضيقها، فتدهور حال التعليم فيها، غير أنها لا تخلو من العلماء والصلحاء الذين تراجع عددهم بعد ذلك لتكبرهم وعنادهم وعزوفهم عن الصلاح بسبب ثراء المدينة<sup>4</sup>، وقد ذكر الرحالة فئة من علمائها كالولي الصالح سعيد السفري والعالم والولي الصالح يحيى اليعلاوي ومثله في الفضل والعلم والأدب النحوي اللغوي الفقيه أحمد الزين وعلي الزموري وإبراهيم الضرباني قاضي المالكية وشعبان بن جلول قاضي الحنفية وغيرهم من الفقهاء، ومحبتهم متبادلة فيما بينهم ومنهم جماعة من العلماء والفضلاء والأدباء كبد الدين بن عبد الكريم الفكون أمير الركب الحجازي، كما تربطهم علاقة محبة مع الحكام، وتوجد في مساجد قسنطينة أضرحة تُنسب لها أسماؤها كأحمد بن عين الناس وأبي عبد الله الشريف وعبد المؤمن وعبد الكريم الفكون وغيرهم<sup>5</sup>.

تطرق صاحب الرحلة أيضا إلى الخصومة التي حدثت في عين ابن الحاج بابا بين طلبة قسنطينة والعلامة عبد القادر الراشدي، فرموه بالتجسيم حتى بعضهم كفره<sup>6</sup> بسبب الحسد والبغض والتنافس العلمي، العلمي، حيث نسبوا له كثرة الرشوة وضلوه، فعزل عن موضع القضاء<sup>7</sup>.

وحسب شهادة الرحالة قد استولى الأتراك العثمانيون على كل مؤسسات التعليم في مدينة بسكرة، فاندرس العلم بها بسبب السياسة العثمانية، غير أننا لا ننفي وجود إنتاج فكري لبعض العلماء، إذ يقول الورثيلاني

<sup>1</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلية، المصدر السابق، ص 241.

<sup>2</sup> نفسه، ص 243

<sup>3</sup> نفسه، ص 251

<sup>4</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 688.

<sup>5</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلية، المصدر السابق، ص 363، 366.

<sup>6</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 697.

<sup>7</sup> الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلية، المصدر السابق، ص 372، 373.

في هذا الشأن: "ومع هذا فإن أهل وطننا لم يعدموا علماء ولا إفادة في كل العلوم، أو جلها..."، وهذا يدل على وجود حياة ثقافية بالجزائر طغت عليها الصوفية، مما أدى بالسياسة العثمانية إلى محاولة تقييدها<sup>1</sup>

**الخاتمة:**

ركز الرحالة أثناء تنقلهم على وصف الثروات الهائلة ونقاط المياه المتعددة والمتنوعة، فضلا عن الأسواق التي شهدت حركة تجارية مهمة، غير أن هناك مناطق عانت من الفقر، فلا يملك بعض الأهالي حتى ما يقتاتونه في اليوم، ويعود ذلك إلى قلة المياه والثروة الحيوانية، ناهيك عن اللصوصية وعدم الاستقرار. إن الواقع الاجتماعي المعاش في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة يعكس غياب العدالة الاجتماعية وعدم نفوذ السلطة الحاكمة وضعفها في تسيير الشؤون، فقد عانى السكان في هذه المرحلة من الفقر بعد أن أثقلت كاهلهم الضرائب، وكان الهم الوحيد لبعض الحكام العثمانيين هو جمع الأموال والحفاظ على السلطة، مما أثر حتى على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والصحية فأصيب المجتمع بالأوبئة والأمراض ونقص في الرعاية الصحية.

تميز الكثير من الإنتاج الفكري لهذه الفترة بصبغة صوفية، فنجد العديد من الكتب والرسائل والتقارير والمنظومات تتناول التصوف، كالأذكار والأوراد والمواعظ والحكم والشروح.

وكثيرا ما كانت الزوايا محطة من محطات الرحالة في كل وجهة يتجهون نحوها، وكان هناك تمجيذا ومدحا لأهلها، حتى طريقة الخطاب طغت عليها النبرة الصوفية، ويتجلى ذلك من خلال توظيف الألفاظ الدالة عليها كالولي وسيدي والنبي وغيرها ولعبت دورا كبيرا، ليس على الصعيد الديني والثقافي فقط، بل حتى على الصعيد السياسي والاجتماعي، كما أثرت السياسة العثمانية على وضع الجزائر العام بسبب الفتن والحروب.

وبالتالي نستطيع القول بأن كتابات الرحلة تمثل قيمة توثيقية جد هامة لتاريخ الجزائر في العصر الحديث لا يجب الاستغناء عنها نظرا للفائدة الإخبارية التي تزخر بها، تنتظر سوى البحث في ثناياها خاصة التي لم تُحقق بعد.

<sup>1</sup> عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص ص

## قائمة المصادر والمراجع:

### الكتب:

- 1- أنساعد سميرة ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- 2- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 3 - بن عمارة خليفة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى عين الصفراء، المشرية، البيض، النعامة، من الأصول إلى غاية حرب التحرير، تر بوداود عمير، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013.
- 4 - بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 5- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 6- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 7 - سعيديوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2013.
- 8- سعيديوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999.
- 9- سعيديوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 10 - صحراوي عبد القادر، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، دار هومة، الجزائر، 2016.
- 11- المدني أحمد توفيق، أبطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 12 - العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد ، الرحلة العياشية 1661-1663، مج1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
- 13- هابنسترايت ج.أو، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر ناصر الدين سعيديوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د ت).
- 14- الورثيلاني الحسين بن محمد ، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1، تح محمد بن أبي شنب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008.

15- الورثيلاني السطيفي الجزائري الشيخ الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تح محفوظ بوكراع وعمار بسطة، ج 1، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

16- الوزان الفاسي الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا، ج 2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

17- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

### الرسائل والمذكرات:

1 -حفيان رشيد، "الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12 هـ/17-18 م"، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في (التاريخ)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، (2013/2014).

2-حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006.

### المقالات:

1-بوسليم صالح وبن قايد عمر، "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد: 21، ص. ص (267-278) الجزائر، 2015.

2-درقاوي منصور ، "الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوربية(العادات والتقاليد-أنموذجا)"، مجلة عصور، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد: 34-35، ص. ص (27-66)، الجزائر، 2017.

3-مزين محمد، "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنين 16 و 17 م"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد: 09، 1995.

4-مشوشة سمير، "ابن حمادوش الجزائري وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، ، المجلد: العدد: 12 ، الجزائر ، 2015.

5-SADOK(M) HADJ, « A TRAVERS LA BERBERIE ORIENTALE AU 18<sup>EME</sup> SIECLE AVEC LE VOYAGEUR AL- WARTHILANI », REVUE AFRICAINE, VOLUME 95, 1951.

#### أشغال الملتقيات:

1-سرقمة عاشور، "الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجا-"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، ط1، دار الضحى، الجلفة، الجزائر، 2017.